الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

القصص الديني

ابراهيم يبحث عن الله

٦

عبد الحميد جودة السحار

القصص الديني

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

ابراهيم يبحث عن الله

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

كان إبراهيم صبيًّا ، وكان يرى أباه وأهلَه وقومَه يصنعونَ أصناما من الحجر ثم يعبُدونها ؛ وهو لا يعرف إنْ كانت هذه الحجارةُ آلهةً أم لا !!

فلما كبر وصار فَتى ، فكر فى نفسه ، وقال : هذه الأصنامُ أصلها حجارة ، وأنا أعرف هذا ، وهى تُصنَع أمامى من الحجارة ، فكيف تكون آلهة !؟ . وهل الإنسان هو الذى يصنعُ الإلهَ ، أم الإله هو الذى يصنع الإنسان !؟ ، لا بدَّ أن اللّه الذى خَلَقَنا شىءٌ آخر غير هذه الأصنام ، ولا بد أن أبحث عنه حتى أجدَه ، وأشكرَه وأصلِّىَ له . ومن هذا الوقتِ صار يبحثُ عن اللّه الذى خلق الإنسان .

٢

وفى ليلةٍ من الليالى كان جالسا وحدَه يفكرُ ويقول لنفسهِ : مَن هو اللّه ؟ وأين هو يا تُرَى ؟

وفجأةً لمَعَ أمامَ نظرِه فى السماءِ كوكبٌ براق ، فنهض واقفا ، وأشارَ بيديه إلى الكوكبِ وهو فرحان ، وقال : هذا ربِّى لقد وجدْتُه ؛ إنه يلمَع فى السماء من بعيد . إنه جميل وليس مثل الحجارة التى يقولون إنها آلهة . وهو لا يتكسَّرُ مثل هذه الأحجار . وراح يصلى لهذا الكوكبِ وهو منشرحُ الصدر ، ويقول : الحمد لله الذى وجدتُه فى السماء مضيئا لامعًا جميلا . ولكن هذه الفَرحة لم تتم ؛ فقد نظر إبراهيمُ فوجدَ الكوكبَ اللامعَ قد غاب ، واختفى عن نظَرِه ، ولم يعد يراه ، فصرخ : يا إلَهى !.. يا إلَهى . أين تذهب وتتركنى هنا

وحدى ، وقد ظللتُ أبحثُ عنكَ أياما وليالىَ حتى وجدتُك . لا تغب يا إلَهى . استمع إلى صُراخى . يا رب .. يا رب ... ولكن الكوكب لم يسمعْ ولم يرجع ! عندئذ قال إبراهيم : لا . ليس هذا إلَهى . إنه يأفَلْ (أى يغيب) وأنا لا أحب الآفِلين .

ومَضى يبحَثُ عن اللّه من جديد .

٣

ومرَّت الأيامُ والليالى وإبراهيمُ يبحث . يبحث فى كل مكان . فى الجبالِ والوديان . وفى السماءِ وفى الأرض . وينظر هنا وهناك . ولكنه لا يرَى اللّهَ .

وفى ليلةٍ جلَسَ وحَدَه حزينا يفكر . وفجأة ظهر القمرُ مستديرًا كاملا فأنارَ الدنيا حولَ إبراهيم . فانتبهَ فرأى القمر بازغا . قال : هذا ربِّى ! فكيفَ لم ألتفِت إليه من قبلُ يا تُرى ، وهو يطلعُ فيُنيرُ الظلامَ .

ويملأُ الدنيا بالنور . وهو جميلٌ وعالٍ في السماء . ونوره يذهبُ إلى كل مكان . وراح إبراهيم يصلي وهو فرحان . يحسَب أنه وجد اللّه الذى كان يبحث عنه من زمان . لكن هذه الفرحة لم تتم . فقد نظرَ إبراهيمُ فوجَدَ القمرَ يميلُ شيئا فشيئا نحو المغيب . ولما بدأ يهبِط ويغيب زعق إبراهيم : يا إلَهى لا تغبْ وتتركنى فى الظلام وحدى . ابقَ يا إلَهى فى السماء حتى أذهب إلى أبى وأخبره أننى وجدتك . ابق يا إلَهى . ابق يا إلَهى .

ولكن القمرَ كان قد غاب ، وترك إبراهيمَ وحده فى الظلام . وبكى إبراهيم ، وهو يقول :

– إنه لم يكن إلَهى . لقد أفَلَ وغاب . وإذا كان ربِّى لا يُعَرِّفنى طريقَه ، فسأبقى ضالاً لا أراه .

ثم أخذ نفسَه وعاد إلى دارِ أبيه ، متألما حزينا .

٤

كان الجوُّ صيفا . فنام إبراهيم على سطح الـدار ، واستيقظ مبكرا قبل طلوع الشمس ؛ يفكِّر فى اللّه ، وأين يكون . وفجـأةً أشـرقت الشـمسُ مـن الشـرق كأنَّها كرةٌ ملتهبةٌ ضخمة . فهتف إبراهيم : هذا ربِّى هذا أكبر . هذا ربى الذى يُرسلُ الضـوءَ والحـرارة ، فَيَنْبُتُ الـزرع ، ويَدْفَأ النـاس ، وتصـير الدنيـا كلهـا نورا . هذا ربى وقد وجدْتُه أخيرا . فـالحمد للـه ... الحمد لله . وراح أبراهيمُ يُصلِّى وهـو فرحـان . ثـم خرج إلـى الشـوارع وإلـى الحقـول وإلـى الجبـال ؛ ليرى النورَ والحرارة فى كل مكـان وفـى كـل جهـة يُوَجِّه وجهَهُ للشمس ويصلِّى ، ويقول : الحمد لله . لقد وجدتُك يا إلَهى . الحمد لله .

ولكن هذه الفرحـــة لم تتم . فإن الشمـــس قـد

أخذَت تميلُ للغروب ، واصْفَرَّت وضَعُفَت أشعتها . ولمَّا غابت عن القريـة ، خـرج إبراهيـم يجـرى إلـى الحقول ، فوجـدَ آثـارَ الأشـعةِ لا تـزال باقيـةً فيهـا . ولكـن بعـد قليـل اختفـت الشـمسُ وراء الجبـل ، فجرى إبراهيمُ وصعد الجبل ، فوجد آثار الأشـعة لا تزالُ باقية فيه . ولكن بعد قليل اختفت هذه الأشـعةُ أيضا . وأظلَمت الدنيـا كلُّهـا حـول إبراهيـم . وهـو وحيد . عند ذلك قال إبراهيم : لقد وجـدتُ اللّـه : إن اللّـه ليـسَ هـو الأصنـامَ وليـس هـو الكواكـب ، وليس هو القمر ، وليس هو الشمس .

اللّه الذى خَلَقنى موجود ، ولكنى لا أراه .

موجود فى كل مكان ، وقادر على خلق كل شىء ولكن لا أقدر أن أراه . هذا هو اللّـه . وراح يُصلّى فوق الجبل وحيدا ، وقلبُه لا يخاف .

٥

عاد إبراهيمُ إلى دارِ أبيه هادئا فى هذه المرة ، فنام مستريحَ البال . وفى الصباح وجدَ أباهُ يصلّى أمامَ الأصنام ، فانتظر حتى انتهى أبوهُ من صلاتِه وذهب إليه يُكلّمه فى عِبادة اللّه وعِبادةِ الأصنام . ودار بينهما هذا الحديث .

ـ ﴿ يا أبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يسمَعُ ولا يُبصِر ولا يُغنى عنكَ شيئا ؟ ﴾ .

ـ هذه آلهتى وآلهةُ آبائى .

ـ ﴿ يا أبَتِ إنّى قد جاءَنى من العِلْمِ ما لم يأْتِكَ فاتّبِعْنى أَهْدِكَ صِراطًا سويًّا ﴾ .

ـ أنت تهدينى طريقًا مستقيما ! أنت الولدُ الصغير ! تعرفُ أكثرَ منى ؟

ـ ﴿ يا أبَتِ لا تعبُد الشيطان ، إنَّ الشيطانَ كان

للرحمنِ عَصِيّا . يا أبَتِ إنى أخافُ أنْ يَمَسَّكَ عذابٌ من الرحمنِ ، فتكونَ للشيطان وليًّا ﴾ .

ـ أسمعُك تتحدث عن الرحمن ، فمن هو الرحمَنُ هذا الذى تحدثنى عنه ؟ ، وهل كفرتَ بآلِهَتى وكرهتها يا إبراهيم ؟

ـ إنَّ الرحمن هو اللّه الواحدُ الأحَد ، وقد هدانى إليه ، فعَرَفْتُه بعد أن بحثْتُ عنه فى كلِّ مكان .

ـ اذهب . اذهب عنى . وإذا لم تذهب فسأَقتُلُكَ قتلا . اذهب بعيدا عنى . قلت لك !

ـ ﴿ قال : سلامٌ عليك . سَأَستَغْفِرُ لكَ ربِّى إنّهُ كان بى حَفِيّا ﴾ .

٦

ذهبَ إبراهيمُ إلى المَلِك والكُبَراء الذين معه ، وهم جالِسونَ أمامَ الأصنام فى المعبَد يُصلّون . ليُعْلِمَهُم أنَّ هذه الأصنامَ ليست آلهـة ، وأنها لا تنفَعُ ولا تضُر . وأنَّ اللّه الـذى يجبُ أن يعبـدوه هـو الـذى خلَـقَ السمواتِ والأرض . وخلَقَ الناسَ وخلقَ كـلَّ شىء .

﴿ قال : ما هذه التماثيلُ التى أنتم لها﴾ . ﴿ قـال : لقدْ كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلالٍ مُبين﴾ . ﴿ قـالوا : أَجئْتنـا بـالحقِّ أَم أنـت مـن اللاَّعِبيـن ﴾ . ﴿قـال : بـل ربُّكم ربُّ السَّـموات والأرض الـذى فَطَرَهُـنَّ (يعنى خلقهنَّ) وأنا على ذلك من الشاهدين﴾ .

قال الملك : ـ ماذا يصنعُ ربك هذا فى الدنيا ؟

قال إبراهيم : ﴿ ربِّى الذى يُحيى ويُميت ﴾ .

قال : ﴿ أنا أُحيى وأُميت ﴾ .

ثم أمرَ بإحضار رجلين من الفقراء فحضرا وأمر السياف أن يَضرِب عُنق أحدهما ويتركَ الآخر . ثم التفت إلى إبراهيم قائلا :

ـ أرأيتَ ؟! لقد أمَتُّ واحدًا وأحيَيْتُ الآخر !

﴿ قال إبراهيم : إنَّ ا للّهَ يأْتى بالشمس من المشرق فأْتِ بها من المغرب ! ﴾ .

عند ذلك بُهِتَ الملكُ ، ولم يستطع الإجابة فقال لأتباعه : أبعدوا هذا الرجل عنى . فطردَه الحرسُ بالقوة بعيدا .

٧

وصبَرَ إبراهيمُ حتى انصرفَ القومُ من المعبد وجاءَ بفأْسٍ كبيرة ، وراح يضربُ الأصنامَ يمينا وشمال ،ولم تمضِ ساعةٌ حتى كانت الأصنام كلُّها قد تحولت فُتاتا ؛ إلا أكبَر الأصنام فلم يُحَطِّمْه إبراهيم ، بل تركه واقفًا

وحده ، ووضع الفأْسَ فى عنقه وتركه ومضَى ونامَ مطمئنا.

وفى الصباح جاءَ الملكُ والقومُ إلى المعبَدِ يصلُّون ، ونظروا فوجدوا الآلهةَ كلها مفتّتة ، والأرضَ مملوءَةً بقطع الأحجار .

قالوا : ﴿ من فَعَلَ هذا بآلِهتنا ؟ ﴾ .

قال بعضُهم : سمِعنا بالأمسِ فتىً يُقال له إبراهيم، يُهَدِّدُ بأنه سيحطمها . قالوا : فَأْتوا به أمامَ الناسِ ليَكونوا شاهدينَ على جريمته الكبيرة . وجاءُوا به ، فسألُوه :

﴿ قالوا : أأنْتَ فَعَلْتَ هذا بآلِهَتِنا يا إبراهيم ؟ ﴾ ، ﴿ قال : بل فَعَلَهُ كبيرُهم هذا (وأشارَ بإِصْبَعِه الأكبر) ، فاسألوهم إن كانوا يَنطِقُون ﴾ .

قالَ بعضُهم: يظهر أنه صادِقٌ فيما يقول وأنه مظلوم . ولكنهم رجعوا فقالوا : لقد علمتَ أنَّ هؤلاءِ

لا ينطِقون . فكيف نسأَلهم وهم لا يتكلمون ؟!

قال : وإذا كانوا لا يتكلمون ، ولا يقدرون أن يحموا أنفُسَهم من التكسير ، فكيف تعبدونَهم ؟ ﴿ أفَتعبدونَ من دونِ اللّه ما لا ينفعكم شيئًا ولا يضُرُّكم ؟ ، أُفٍّ لكم ولما تعبدون من دونِ اللّه ، أفلا تَعقلون ؟ ﴾ .

﴿ قالوا حَرِّقوه وانصروا آلهتَكُم إن كنتم فاعلين ﴾ .

٨

أمَرَ الملكُ بالقبْضِ على إبراهيم وحَرْقِه ، فأَمسَكُوه وبعثُوا الحطابين لجمع الحطب وفروعِ الأشجار الجافة ، وجمعوا أكوامًا كثيرة منها وأشعلوا فيها النار .

وعَرَف النـاسُ فـى جميـعِ الجهـاتِ بميعـاد حـرْق إبراهيـم فتجمَّعـوا جموعـا كثيرة، ليشـاهدوا هـذه الحادثة العظيمة، ووقفوا حولَ النار من بعيد .

ولما اشتعل الحريق وصارت لـه حـرارة شـديدة ، لا يُطيقُها الناس ، جاءَ أربعةٌ مـن الرجـال الأشِدَّاء ، فوضَعُوا إبراهيمَ فى المنجنيق ، وقذفُوا به فى النار ، فوقَع فى وسطِها . فهاصَ الكفارُ وزاطـوا ، وقـالوا : ذهبَ إبراهيم إلـى النـارِ التـى كـان يقـول لنـا إنكـم ستدخلونها . هاهاها .

قال اللّه تعالى :

﴿ يا نارُ كونى بَرْدًا وسلاما على إبراهيم ﴾ .

وما يشعُرُ الكفـارُ إلا وإبراهيـمُ جـالسٌ فـى وسـطِ النار ، والنارُ لا تَمَسُّهُ بسوء . ونظَـرَ بعضُهـم فوجَـدَ إبراهيم يصلّى لله وهـــو فى وسَـــطِ النار . فلـــم

يصدِّقوا . وفركوا أعينَهم وعادوا ينظُرون .

- إنه حيٌّ لم تُحْرِقْه النار ! عجيبة !

- لا تقولوا هـذا يـا نـاس ، كيـف لا تحرقـه هـذه النـيرانُ الشـديدة ؟ ، وحـق الآلهـة : إنـه لحـىّ ، انظروا ، ها هو ذا يُصَلِّى ! ، إى واللَّه إنَّهُ يُصَلِّى !

- هذا شيطانٌ . شيطان لا تحرقـه النـار . هيـا بنـا اجروا اجروا وابتعدوا عنه ؛ لئلا يحرقكـم . وهربـوا جميعا .. ولكن اللَّه أهْلَكَهم ، ولـم يُنْـج إلا إبراهيـم الذى هَجَرَ البلْدَة كلها وذهَبَ بعيدا .

٩

وفى مرَّةٍ خَطَرَ على بالِ إبراهيمَ أن يسألَ ربَّه : كيفَ يُحيي الموتى بعد موتِهم ويبعثهم يومَ القيامة ؟

قال : ﴿ أوَ لم تؤمِن ؟ ﴾ .

قال : ﴿ بَلَى ، ولكنْ لِيَطمَئِنَّ قلبى ﴾ . فَأَمَرهُ اللّه أنْ يأْتِيَ بأَربعةِ طيور فيذبَحَها ويقطَعَها . بعدَ أن يعرِفَ شكلَها تماما ، ويضَع على كلِّ جبلٍ جزءًا منها . ففعلَ إبراهيمُ ذلك .

ثم قال له اللّه : ﴿ ادعُهُنَّ يأْتِينَكَ سعيا ﴾ . فدعاهُنَّ إبراهيم ، فإذا الطيورُ الأربعة تأتى إليه تمشى على أرجُلِها كما كانت من قبل حية .

قال : آمنْتُ أنَّ اللّه على كلِّ شيءٍ قدير .